OPEN ACCESS: http://theislamicculture.com

The Islamic Culture
Bi-Annual Research & Refereed Journal
Published by
Sheikh Zayed Islamic Centre,
University of Karachi
SZIC
الثقافة الإسلامية
ISSN (Print) : 1813-775X
ISSN (Online) : 2663-1709

بناء الشخصية الإسلامية في روايات علي أحمد باكثير ونسيم حجازي

Islamic Character Building In the novels of Ali Ahmed Bakathir & Nasim Hijazi

Dr. Bushra Bashir Shah
Visiting Teacher in Center for Teaching of Arabic Language, Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad
Dr. Salma Firdous Sehole
Assistant Professor, Faculty of Arabic, International Islamic University, Islamabad

د. بشرى بشير شاه
أستاذة زائرة بمركز تعليم اللغة العربية، كلية اللغة العربية، إسلام آباد
د. سلمه فردوس سهول
أستاذة مساعدة بكلية اللغة العربية، إسلام آباد

Abstract:

Islamic literature serves many goals. In addition to the artistic pleasure and literary benefit it brings. It has the great effect of educating the soul and directing it towards the right path through an indirect advocacy method.

Omar Ibn Al-Khattab, may God be pleased with him, was alerted to this end and wrote to Musa Al-Ash'ari: "Order those before you to learn poetry, for it indicates high morals, correct opinion, and knowledge of genealogy." It has thus been one of the of the aims of Islamic literature to point out the righteous qualities and to encourage them.

When we talk about Islamic literature, we cannot forget the names of; Mr. Ali Ahmed Bakathir Hadrami (1910 -1969 AD), who enriched Egyptian and Arab literature for many years, and secondly Nasim Hijazi (1914-1995 AD), who in the field of Urdu journalism and Urdu literature, spread Islamic innovation throughout his Islamic and historical novels, which resemble novels of Ali Ahmed Bakathir in the terms of character building on Islamic principles

of the Islamic Ummah. Because Islamic literature has the same nature, aspects and base worldwide. Even in different races and languages all its characteristics are common. This resemblance in their work on Islamic basis is attested and analyzed by our article.

Keywords: Ali, Ahmed, Bakathir, Nasim, Hijazi, Character Building, Arabic, Novels.

عندما نتحدث عن الأدب الإسلامي فإننا لا نستطيع أن ننسى أسماء عظيمة قدمت لنا أدباً إسلامياً، ومن هذه الأسماء الأستاذ علي أحمد باكثير الحضرمي (1910م-1969م)، والذي أثرى الحياة الأدبية المصرية والعربية على مدى سنين طويلة بفنه الراقي، الذي كان سلاحه القوي في الدفاع عن الإسلام ودعوته للإصلاح والتجديد وبناء الشخصية الإسلامية. ومنها نسيم حجازي (1914م - 1995م)، الذي أفاد مجال الصحافة والأدب الأردي الباكستاني طوال حياته برواياته الإسلامية والتاريخية، والتي تشبه بكثير روايات علي أحمد باكثير في موضوعاته وعوامله وأهدافه. لأن الأدب الإسلامي هو أدب الشعوب الإسلامية على اختلاف أجناسها ولغاتها، وخصائصه هي الخصائص الفنية المشتركة بين آداب الشعوب الإسلامية كلها. ومقالنا هذا يشهد على ذلك.

علي أحمد باكثير يعد بحق أحد أعلام الرواية التاريخية الإسلامية الكبار الذين استطاعوا استلهام التاريخ الإسلامي، وتوظيفه في قراءة الواقع المعاصر. وكان لنشأته وبنائه الفكري واتساع أفقه وتنوع مصادره الثقافية أكبر الأثر في تكوين شخصيته وقلمه، ولقد كان الموجه الرئيسي لباكثير في فنه الأدبي هو عقيدته الإسلامية وقيمها وتصوراتها الصائبة للحياة.

وينطلق باكثير في كل رواياته التاريخية من تصور إسلامي واضح للحياة، وإيمان عميق بصلاحية الدين الإسلامي لكل زمان ومكان.

- فالتقوى تنتصر على الشهوة مثلا في روايته "سلامة القس"، وهي رواية تدور أحداثها في مكة والمدينة وتحكي قصة حب طاهر بين الشاب التقي (عبد الرحمن بن أبي عمار) الملقب بالقس وسلامة المغنية.

- وعزة العرب والمسلمين منتمية براية الجهاد، والنصر لا يتحقق إلا بحاكم عادل في الرواية "وا إسلاماه" وهذه الرواية مبنية على الإشارة بشأن انتساب قطز القائد المملوكي المصري الذي

هزم التتار لعائلة خوارزم شاه، وكذلك عن نجاة قطز وابنة عمه جهاد وكيف تمكن الحب من قلبيهما وتزوجا، ومواصلة الجهاد ورفع قيم الإنسانية.

- والأخلاق الإسلامية حلية الإنسان السوي، والسعي للزواج في "سلامة القس" والزواج المحقق بعد حب عفيف في "سيرة شجاع". حيث تحكي هذه الرواية عن قصة صراع بين شاور وضرغام على حكم مصر زمن الفاطميين واستيلاء صلاح الدين الأيوبي على مصر.

- الصراع بين الرأسمالية والشيوعية والعدل الإسلامي في الثائر الأحمر، فهذه الرواية تبين قصة ثورة القرامطة وتأسيسهم قائمة على المبادئ الاشتراكية يرمز بها باكثير إلى الشيوعية المعاصرة.

- وفي رواية الفارس الجميل اعتمد باكثير على فكرة الاختزال الشديد والسرد الواضح بالنصوص التاريخية، فصور فيها البنية السياسية والاجتماعية والظفر العسكري في عصر الدولة الأموية.

- وأما ليلة النهر تحكي عن حياة موسيقار يترفع عن اللهو والمجون التي يحياه بعض المنتسبين إلى الفن.

إنها رؤية إسلامية يلتزمها المؤلف في كل رواياته ولم يقع على ما يخالفها وفي مستنيرة متقدمة عن رؤية غيره من مفكري الإسلام في عصره، كرؤية دور المرأة وتعليمها الفنون الحربية، ورؤية الجهاد وغيرها.

فالكاتب حاول خلال الرواية بناء الشخصية الإسلامية بمهارة فائقة على المبادئ والأفكار الإسلامية التالية، ومن ذلك:

1- فكرة الجهاد: فقد تركز علي أحمد باكثير في رواياته على إحياء فريضة الجهاد وحيويتها بالنسبة للمسلمين، بما يشمله من جهاد بالنفس، وجهاد بالمال والإعداد لذلك إلى آخر تلك المعاني التي تدل على ثقافته الإسلامية العميقة، كما قال الله تعالى في سورة التوبة [1][2].

وكذلك في رواية "سيرة شجاع" حيث ذكر في الرواية عن الجهاد ضد الأعداء وعدم التحالف معهم وخيانة المسلمين حيث قال: "وما إن وصل جيش الفرنج مصر، وحاصر أسد

الدين في (بلبيس) حتى خان شاور العهد، وتحالف مع الفرنج، وشارك في الحصار، ويرفض ابنه (شجاع) هذه الخيانة، ويقوم بهجمات متتالية على الفرنج ويقع في الأسر"[3].

فالكاتب بيّن في هذه الرواية عن رفض شجاع لأبيه بالتحالف مع الفرنج وخيانة المسلمين.

2- التفات النظر إلى سنن الله في الكون.

3- رفض الخيانة للدين والوطن: ومثاله في "سيرة شجاع" حيث خان شاور والد "شجاع" الدين والوطن بتحالفه مع الفرنج وخيانته للمسلمين.

قال الكاتب: "أراد الفرنج الاحتلال على مدينة بلبيس، فعلم أسد الدين بذلك فخرج مع جيشه نحو بلبيس فعسكر خارجها لينتظر مساعدة من شاور، ولكن الأيام مضت ولم يأت خبر من شاور، فتحصن داخل المدينة وبدأ في تحصين أسوار المدينة بمساعدة أهل بلبيس، ثم ناقش أسد الدين مع الفرنج ليحول الفرنج وجيش أسد الدين على بلبيس، ومرة أراد فتيان المصريين القضاء على الفرنج ولكنهم وقعوا أنفسهم في أيدي الفرنج وكان من بينهم "شجاع" ابن شاور فعلم شجاع عن خيانة أبيه للوطن والدين وتحالفه مع الفرنج وذلك بعد قراءة رسالة من شاور للفرنج [4] "

4- اللجوء إلى الله في كل حال[5].

وكذلك في رواية (سلامة القس) كان القس متنسكاً، ونرى عبادته مجسدة في صلاته وقراءته للقرآن عندما يتذكر أمه التي تولت تربيته بعد وفاة أبيه وهو في الثانية من عمره، فكانت أمه تعنى بأمر صلاته وقيامه، حيث يقول الكاتب: "تذكر عبد الرحمن أمه الصالحة وتذكر حسن تربيتها له، وقيامها عليه، وكفايتها إياه هموم العيش ليتفرغ للعبادة والعلم فراوده الحنين إليها واشتد به الحزن عليها، وكان قد خف عنه ذلك بعد عام قضاه عبد الرحمن في أشد الحزن حتى اعتلت صحته وساء حاله، فكثر في العبادة من صلاة وقراءة القرآن"[6].

5- عدم اتباع المنجمين: فنجد أن الكاتب يبدي وجهة النظر الإسلامي في التنجيم، فهذه الفكرة تعطي الرواية حيوية وتقوية لدى القارئ أو السامع.

فمثلاً في رواية "وا إسلاماه" حيث عقب الكاتب على قول المنجم للسلطان جلال الدين: "أنه ستولد ابنة في بيتك كما سيولد في أهل بيتك غلامًا يكون ملكاً عظيماً على بلاد عظيمة ويهزم التتار هزيمة ساحقة" [7] فعقب باكثير على ذلك من خلال وجهة نظر الأمير ممدود ابن عم السلطان بقوله: "هكذا يرى ممدود في هذا المنجم، وغيره من المنجمين والضاربين للرمل والقارئين في الكف، أنهم ليسوا إلا دجالين يدّعون معرفة علم الغيب بما أوتوا من براعة وفطنة في تبيين أحوال من يستفتيهم، وتقصي أسراره ودخائله، وعلى قدر هذه الفطنة والبراعة يوفقون إلى إصابة الحقيقة في تنبؤاتهم وتخرصاتهم"[8].

وكذلك عقب باكثير على لسان الشيخ ابن عبد السلام مخاطباً قطز: "إنها تخرصات تخطئ وتصيب وقد نهى الشرع عن التنجيم لأنه تسور على الغيب ولا يعلم الغيب إلا الله"[9].

وقد استفاد باكثير من هذه النبوءة (التنجيم) في تشويق القارئ لمتابعة أحداث الرواية، ولكنه استبدل بها في منتصف الرواية "برؤية قطز للنبي ــصلى الله عليه وسلمــ وتبشيره له بأنه سيملك مصر وسيهزم التتار "[10].

وهكذا حول باكثير ببراعة تحقق نبوءة المنجم إلى تصديق لرؤية النبي صلى الله عليه وسلم.

6- الشجاعة والتضحية: مثلاً في رواية (وا إسلاماه) مثلت جلنار قمة الشجاعة والتضحية حيث فدت السلطان بروحها حين رأت السلطان يبكي لمصرعها وينديها قائلاً: "وا زوجاه، وا حبيبتاه" رفعت طرفها إليه وقالت له بصوت ضعيف منقطع وهي تجود بروحها في السياق: "لا تقل وا حبيبتاه...قل وا إسلاماه، وما لبثت أن لفظت الروح بين يديه، وقد بثت بمقوماتها روح تلك الحماس في قلب قطز فانطلق إلى ساحة القتال وهو يردد وا إسلاماه حتى كتب الله النصر للمسلمين[11]".

ومثاله أيضًا في "سيرة شجاع " عندما يضحي شجاع بنفسه من أجل أسد الدين ورجاله، الذين دعاهم شاور للوليمة حتى ينفذ خطته ليقتلهم و لم يجعل أباه ينفذ مكيدته لقتلهم، حيث يقتل هو على يد "ياقوت" غلام أبيه، قال الكاتب "أراد شجاع أن ينذر ويوقف والده من تنفيذ مكيدته لقتل أسد الدين ورجاله، ولكن أباه يضربه ثم يطلب شجاع من أبيه بإخراج ياقوت من البيت وإنهاء وليمة التي أقامها لأسد الدين ونصبها ليوم آخر، ولكن أباه يصرخ عليه ويضرب ضربة شديدة على يده،

فسقط الخنجر منها، فأسرع ياقوت فالتقطه ثم أمره شاور بقتل شجاع فقتله ياقوت بالخنجر"[12].

7- فكرة الشورى: مبدأ الشورى من مبادئ أساسية التي يقوم عليها الحكم في الإسلام، وفي تطبيقها عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ[13]﴾.

مثلاً في "وا إسلاماه" كان قطز القائد المسلم يحيد عن هذه السنة الكريمة فكان يستشير قادة جيشه ويستأنس برأيهم، وكان يشاور مع قادته في رسم الخطط للهجوم على العدو، فكان يعرض الرأي فيناقشونه فيه فيستمع إلى اعتراضاتهم واقتراحاتهم بانتباه شديد، فيرد هذا برفق أو يتلقى رأي هذا بالقبول والاستحسان من ذلك كله الرأي الذي يصمم عليه، بعدما أشعرهم جميعاً بأن الرأي رأيهم وليس رأيه وحده [14].

8- التمسك بالدين الإسلامي وترك ملذات الدنيا: فمثاله في "سلامة القس" عندما أمر القس سلامة بأن تصلي وتصوم كما قال الكاتب على لسان عبد الرحمن: "أما الشراب ففي وسعك أن تكفي عنه، وأما الغناء فأنت محمولة عليه وهو ضاعتك، وأرجو ألا يكون حرج عليك فيه، فحافظي على صلاتك وصيامك، وعصمة نفسك بالتقوى، حتى يجعل الله لك مخرجاً من الغناء وسأستغفر الله لك وأتصدق عنك، وسأجتهد في عبادة ربي عسى ألا أكون بعبادة ربي شقيا" [15].

9- بُعد النفس عن المعاصي والآثام: مثلاً في رواية "سلامة القس" يُبعِد القس نفسه عن فعل المعصية عندما اختلى القس بسلامة في دار ابن سهيل حيث قال المؤلف: "نظرت سلامة إلى وجه عبد الرحمن نظرة تائهة فيها كل معاني الاستسلام والغزل، فنظر إليها عبد الرحمن فخفضت طرفها، وأخذت تقلب العود بيدها ثم قالت له بأنها تحبه، فرد عليها عبد الرحمن قائلاً: وأنا والله يا سلامة أحبك! ثم قالت له سلامة: أحب أن أضع فمي على فمك، فرد عليها عبد الرحمن: وأنا والله أحب ذلك، فقامت سلامة ودنت منه وأخذت بيده فقالت إذن فما يمنعك؟ فو الله أن الموضع لخال، فانتفض عبد الرحمن فجأة ونظر إليها نظرة هائلة وقال أنسيت الله يا سلامة؟ ثم تلا عليها الآية الكريمة قال تعالى: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ[16]﴾ وأنا أكره أن تصير الخلة التي بيننا عداوة يوم القيامة! وفاضت عيناه بالدموع"[17].

حيث بيّن الكاتب عن بُعد عبد الرحمن من المعصية بعد أن تذكر قول الله سبحانه وتعالى وكذلك منع سلامة من ذلك فأراد الكاتب أن يوضح الحب العفيف بين القس وسلامة دون ارتكاب المعاصي.

10- الدور الإيجابي للمرأة في الإسلام: يرى باكثير أن للمرأة دوراً إيجابياً في الجهاد ومثال ذلك في رواية "وا إسلاماه" تمثل جلنار المرأة الإيجابية في الرواية، فهي ابنة خال قطز، نشئا معاً وتعرضا للتشرد معاً وجربا حياة العبودية معًا وتفرقًا في دمشق ثم التقيا في مصر وأصبحا زوجين.

وكذلك على المرأة الصالحة أن تعتني بزوجها، فمثلاً في رواية "وا إسلاماه" كانت جلنار الزوجة الصالحة التي تعين زوجها وتؤازره وهو يعدّ العدة لملاقاة التتار.

قال الكاتب: "وكانت زوجته وحبيبته السلطانة جلنار تشد إزره في ذلك كله وتشجعه على المضي في هذا السبيل الوعر، فكانت تسهر الليل معه، وتشاطره همومه وآلامه وتمسح بيدها الرقيقة شكواه، كلما ضاق صدره بتخاذل الأمراء عن طاعته ونيلهم منه مغيبته، وإلقائهم العثرات في طريقه، وكان ربما أنساه انهماكه في عمله الدائب طعامه وشرابه فعنيت بتقديمها بنفسها إليه، وإذا انهمكه السهر في أعقاب الليل قامت إليه فأخذت بيده وقادته إلى فراشه ليأخذ نصيبه من نومه وراحته، وكانت لا تفتأ تملأ قلبه ثقة بالفوز فيما ندب نفسه للقيام به فيزداد يقينه ويتضاعف إيمانه"[18].

وكان دور جلنار يقتصر على الجهاد حيث أنها شاركت في الجهاد بالسيف عندما تطلب منها الأمر ذلك حين انكشف المسلمون عن القائد ورأت فارسًا تتريا يكاد يغدو بالقائد وكاد الفارس التتري الآخر أن يعلو السلطان بسيفه لو لم يبرزله فارس ملثم شغله على ذلك فاختلفا ضربتين بالسيف فخرا صريعين، وصاح الفارس الملثم: صن نفسك يا سلطان المسلمين هي قد سبقتك إلى الجنة "[19].

وأما في "سيرة شجاع" دعا المؤلف إلى تعليم المرأة الفنون الحربية "حمل السلاح" فقد علّم شجاع زوجته "سمية" الفنون الحربية وكان الدافع لذلك هو الدفاع عن النفس، قال المؤلف: "أن الدافع الذي دفع شجاعاً أن يعلم زوجته فنون القتال ما شهده من ترويع النساء حين غزا الفرنج البلاد، وهتكوا أعراض كثيرة من الحرائر لعجزهن عن الدفاع عن أنفسهن" [20]. فيرى الكاتب أن المرأة تحتاج إلى دافع قوي في كل

زمان ومكان.

وكذلك من دور المرأة تحمل قضية الدين والوطن، كما ذكرالكاتب في "سيرة شجاع بأنه كان لسمية زوجة شجاع جانبان أحدها الجانب الذاتي والثاني الجانب الاجتماعي: فهي في جانبها الذاتي "فتاة رقيقة الحس عميقة الشعور تدرك ببصيرتها أكثر مما تدرك بذكائها، وهي صموت، خجول، منطوية على نفسها، تحب زوجها شجاع وتقلق عليه، ولكنها تكتم قلقها عنه وتقاسم زوجها الفرح والسرور رغم الكدر والخوف الذين في قلبها، لكنها لم تشأ أن تفسد على زوجها ما هو فيه من البهجة وانبرت تقاسمه الفرح والابتهاج" (21).

أما من جانبها الاجتماعي فهي فتاة تطيع زوجها من أجل الدين والوطن "أنها كانت أشد التصاقاً بأبيها من أمها البسيطة التفكير، واستطاعت أن تزعزع عقيدة أبيها في النساء الذي لا يميل بطبعه إلى إشراك النساء في حماية الوطن غير شؤون البيت، فإذا به يفضي إليها ببعض همومه، فيجد عندها فوق ما يتوقع من فهم وعطف ويستشيرها فيجد عندها رأياً لا يخلو من الأصالة والرجالة، وهكذا أخذت سمية تعقل شيئا فشيئاً حقيقة ما يجري من الأحداث في مصر خاصة، وفيما وراءها من بلاد العرب والإسلام عامة حتى صارت ملمة بكثير من دقائق أحوالها وأسرار سياستها "(22).

ولذا نرى باكثير يؤيد في بداية رواية "وا إسلاماه" على اهتمام السلطان جلال الدين بتدريب ابنته "جلنار" على ركوب الخيل وفنون القتال، وكذلك في "سيرة شجاع" اهتم شجاع على تعليم زوجته "سمية" فنون القتال، تحسباً لمثل هذا اليوم.

وكذلك دعا باكثير إلى تجنيد المرأة ضمن الجيش ويدعو إلى تعليمها شيئًا من فنون القتال حتى تستطيع الدفاع عن نفسها عند الحاجة.

11 – فكرة الوعظ والإرشاد: ففي روايته "سلامة القس" نجد أن أبا الوفاء ينجح في تغيير المنكر بمساعدة صديقه القس، ويتمكنان في إقناع الوالي بإخراج المغنية "جميلة" من مكة حتى لا تفسد بناتهم وشبابهم، ولكن أبا الوفاء يخفق في صرف جاريته "سلامة" عن الغناء، كما يخفق في صرف صديقه "القس" عن حب "سلامة"، ويقف دوره عند الوعظ والإرشاد حتى لقي ربّه.

12- عدم الاستعانة بغير المسلمين: تندرج هذه الفكرة من أهم أبواب العقيدة الإسلامية المعروف " بالولاء والبراء" قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتبعتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ[23]﴾. وكان باكثير واضحا في تصوير هذه القضية في "سيرة شجاع" عندما استعان شاور بالفرنجة لقتل جيش نور الدين المسلم، قال الراوي: "أسرع جنود شاور وجنود حلفائه فعسكروا حذاء عسكر أسد الدين من البر الشرقي، فأصبح النيل يفصل بين المعسكرين، وكأن هذا النهر العظيم باعتراضه بينهما وفصله بين جند الحق وجند الباطل، قد أراد أن يشهد الله ويشهد الناس ويشهد التاريخ إلى أي الفريقين انحاز شاور بجند مصر"[24].

فصنيع شاور هذا يدخل في باب اللجوء إلى الكافرين والاستعانة بهم على كسر شوكة المسلمين، وهو من أشدّ أنواع الموالاة للكفار وأخطرها.

13- تحرير الرقيق: طرح باكثير هذه الفكرة بجدية، فقد اختار بطل رواية "وا إسلاماه" من طبقة الرقيق، وهي طبقة الدنيا في المجتمع، وقد دعا الإسلام إلى تحرير الإنسان من العبودية، فقد أمر الإسلام بتحرير الرقيق ومن يحرر الرقيق سوف يثاب على ذلك ويكفر عن معاصيه التي إرتكبها.

بيّن باكثير أن الرقيق يستطيع أن ينجز ما لا يستطيع أن ينجزه الحُرّ، إذا وثق بنفسه مثلاً في رواية "وا إسلاماه" كان بطل الرواية "قطز" من طبقة الرقيق عندما ينضم إلى حركة سياسية سرية التي يتزعمها شيخ الإسلام "العز بن عبد السلام" و "ابن الزعيم"، يقوم قطز بدور في هذه الحركة، وتؤدي هذه الحركة بدور كبيرٍ في إسقاط ملك دمشق الخائن، وانتصار ملك مصر العادل.

وكذلك قامت هذه الحركة بمساعدة "قطز" بدور كبير في إسقاط الملك "المنصور" واعتقاله والتمكين للسلطان قطز، حيث أعلن قطز نفسه سلطاناً على مصر بعد اعتقال الملك المنصور، ثم جلس على سرير الملك وتلقب بالملك المظفر [25].

وكذلك في رواية "سلامة القس" نجد أن بطلة الرواية "سلامة" من طبقة الرقيق، وأن بطل الرواية القس "عبد الرحمن " أراد شراءها ثم عتقها.

قال الكاتب: "أراد ابن سهيل أن يهدي سلامة للقس ولكن القس رفض وأراد أن يجتهد ويكسب المال لشراء سلامة من ابن سهيل ثم عتقها ثم يتزوجها حيث باع ضيعته بالوادي الذي ورثه عن أبيه، وقرر الاجتهاد بالتجارة، ولكن أمله يخيب، فقد باع القاضي سلامة لآل رمانة بعد الحجر على أموال ابن سهيل"[26].

بناء الشخصية الإسلامية في روايات " نسيم حجازي "

إن نسيم حجازي أول بشائر الأدب الإسلامي. أراد أن يحول الشرارة الكامنة في صدور شباب المسلمين إلى شعلة يمكن أن تجدد عصور البعث الإسلامي، وهو يريد أن يضيء أذهان الشباب المسلم بعظمة الإسلام التي تجعلهم يشعرون بالثقة في أنفسهم، وحتى يشعروا أن بإمكانهم القيام بالكثير والكثير، وهو يريد أن يثبت في داخلهم الإيمان بالله والواحد ويذكرهم مرة بعد مرة بعظمة الإسلام وإبداعات المسلمين.

"بدأ نسيم حجازي حياته الأدبية في شبابه، وكتب بعض القصص القصيرة خلال دراسته في الكلية، وترك لنا عدداً كبيراً من الروايات التي اتخذت مادتها من تاريخ المسلمين في المشرق والمغرب ولقيت اهتماماً كبيراً من القراء لطرافة موضوعاتها وجودة بنائها، ولالتزامها الإسلامي"[27].

"وأشهرها قصته "شودر" التي جعلها رواية فيما بعد بعنوان: "الإنسان والمعبود". وكذلك من أهم أعماله الروائية رواية "شاهين" التي تناول فيها المخاطر التي واجهت المسلمين في الأندلس وكيف ضاعت قرطبة وإشبيلية وطليطلة وغيرها، وقد ربط فيها بين أحوال المسلمين في الأندلس وأحوالهم في شبه القارة الهندية الباكستانية "[28].

وكذلك كتب رواية "يوسف بن تاشفين" التي تناولت عن فتح بلاد الأندلس على يد يوسف بن تاشفين الذي جاء من أفريقيا. وفي سنة 1951م كتب نسيم حجازي روايته "المعركة الأخيرة" بعد زياراته لبلاد الغرب وأفريقيا وشرق الأوسط التي تناولت فتوحات محمود الغزنوي لغرب الهند وإقليم

البنجاب، وذكر فيها أيضًا عن مستقبل مسلمي الهند بأنه كيف فتح محمود الغزنوي الطريق لمسلمي الهند بقيام رئاسة إسلامية في الهند بعد استقلال باكستان عن الهند.

وبعد هذه الرواية كتب روايتين "معظم علي" و"انقطع السيف" التي تناول فيها حالات المسلمين في بلاد السند في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر"[29].

"وكذلك كتب رواية "كسرى وقيصر" التي تحدث فيها عن أعداء المسلمين من طرف وسقوط قصور الكسرى وقيصر ونشر الأصوات بين الناس بأن المعبود هو "الله سبحانه وتعالى وحده " من طرف آخر" [30].

وكذلك من أعماله الأدبية "القافلة الضائعة" و"الشجرة الوحيدة" وكذلك كتب رواياته في المزاح "بعد مائة سنة" و" البحث عن الثقافة" و"الجزيرة البيضاء" وكذلك كتب مقالا عن الحج "من باكستان إلى ديار الحرم ".

فقد عالج نسيم حجازي في رواياته كثيراً من الأفكار الإسلامية لبناء الشخصية الإسلامية لأجل شبابنا، منها:

1- فكرة الجهاد: وكانت قضية الجهاد من أهمِّ القضايا التي تناولها نسيم حجازي في رواياته وذلك لأن قبل قيام باكستان كان الفساد الاجتماعي منتشرا في الهند، وكثرت الاضطرابات والمعارك التي كانت تدور بين المسلمين والهنادكة.

ففي رواية "السدّ الأخير" بيّن حجازي أهميّة الجهاد مثلاً "كان شوق يوسف للجهاد فلم يخف ولم يبال المخاطر لذا حاول الصعود على السور من مسافة بعيدة، وعندما رأى صلاح الدين الأيوبي ذلك المنظر تحير وقال إذا نجح هذا الصبيّ في صعوده على السور فسأعطيه سيفي، ولكن منزله لم يكن الصعود على السور بل الوصول إلى البرج الذي كانت فيه علامة الصليب، ليكسر الصليب، ويرفع علم الإسلام على البرج، ولكن بدنه يصيب بجروح كثيرة " [31].

وكذلك مثاله في رواية "حكاية مجاهد" عندما استعد نعيم بالرحيل مع جيش محمد بن قاسم،

رأى بأن الناس غير مستعدين للذهاب إلى الجهاد لأن رجلا من البصرة حرّضهم بعدم المشاركة في الجهاد.

حيث قال الكاتب: "عندما وصل نعيم إلى البصرة أخبره صديقه بأن الجيش سيرحل لمقاتلة حاكم السند بقيادة محمد بن قاسم، ولكن هناك رجل من البصرة اسمه "ابن الصادق" يحاول أن ينفر الناس عن الجهاد، ويحاول نشر الفتن بين الناس، ويحرضهم بعدم المشاركة في الجهاد مع الجيش، فذهب نعيم إلى المسجد فخطب، وبدأ يدعو الناس إلى المشاركة في الجهاد لمقاتلة حاكم السند، فأثناء ذلك يقوم ابن الصادق ويحرض الناس بعدم المشاركة في الجهاد، فبدأ الناس يتخاصمون في المسجد، فجلس نعيم وبدأ يتلو القرآن حتى سكت الناس، وبدأ يلقي الخطبة مرة أخرى ويذكر الناس بأهمية الجهاد وفضله، حتى سمع الناس كلامه وبدؤوا بالاستعداد للجهاد " (32).

وكذلك في رواية "محمد بن قاسم" ذكر الكاتب أهمية الجهاد وفضله وفي هذا الصدد ذكر حجازي عن بطل الرواية محمد بن قاسم يستعد للجهاد لفتح بلاد السند، قال حجازي: "تفاجئ الحجاج من مجئ زبير الفار من السند ومعه رسالة ناهيد التي فتحت للحجاج محورًا جديداً للجهاد لفتح بلاد السند، حيث يختار الحجاج محمد بن قاسم كقائد لفتح بلاد السند، فيجتهد محمد بن قاسم ويدعو عامة الناس للمشاركة في الجهاد لفتح بلاد السند " (33).

فعالج حجازي في معظم رواياته عن قضية الجهاد وجعلها أهم قضية في رواياته وليرد على الأفكار المستوردة من الغرب التي لا صلة لها بالإسلام.

2- التربية الإسلامية: نظرة الإسلام إلى التربية الإسلامية، فهذا ما بيّنه الكاتب في روايته "السد الأخير" أي تربية الشيخ أحمد بن حسن لطاهر. يقول في تربية طاهر: "أن أمراء الأتراك والإيرانيين لهم الغلبة على الخلافة، وسيحاولون سد سبيلك بكل ما يستطيعون، ولكنني أثق بمواهبك، لأنك تربيت في أعماق بحار العلم، وأناس ذات الأذهان الجيدة سيحسدونك، وأما الجوهر الثاني في حياة المؤمن هي الفروسية، وأيضًا تعلمت اللعب بالسيف، وأما العالم الإسلامي محتاج لسيفك أكثر من علمك" (34).

وهذا في الحقيقة بيان الشيخ لما ربّى ذلك الشاب ليخدم الإسلام والمسلمين بسيفه وعلمه.

3- الدفاع عن حرمات المسلمين: وفي ذلك ذكر حجازي في "السد الأخير" عن "ثريا" التي دافعت عن نفسها وعن طاهر عندما أراد أحد التتار القضاء على طاهر من الخلف وهو لا يعرف شيئاً، فصرخت "ثريا" وقالت لطاهر: "إنني رأيته عندما وصل على عتبة الباب وأراد القضاء عليك من الخلف بطريقة خفية، فصاحت خوفاً منه " فقال لها طاهر: " ثريا لا يمكن كسر القوة الإسلامية إذا ما زالت تلد فيها فتيات مثلك، وإنني قبل دقائق قليلة بدأت أحس باليأس، ولكن الآن اطمئن قلبي ويشهد على أن القوم تستطيع أن تلد فتيات مثلك فلا يليق بهن أن ينطقن كلمة اليأس لأنهن يستطعن أن يصلن إلى عدوهن حتى من تحت الثرى، وأما الانقلابات فتستطيع أن تغطي عليهن ولكن لا تستطيع أن تدفنهن، وأنها تستطيع نشر حوادث الطوفان ولكنها لا تستطيع أن تنهيها (أي لاتخلصها)" [35].

وكذلك في رواية "محمد بن قاسم" عن دفاع الحجاج لحرمات المسلمين وذلك عندما وصل زبير الفار من السند برسالة ناهيد التي طلبت المساعدة من خليفة المسلمين ليدافعوا عن النساء اللاتي وقعن في أسر الأعداء، وعن اليتامى، فأمر الحجاج محمد بن قاسم بالذهاب مع زبير لفتح بلاد السند ومساعدة النساء واليتامى وتحريرهم من الأعداء ومقاتلة حاكم السند الذي ارتكب عدة جرائم ضد المسلمين [36].

4- الأخلاق الحسنة الفاضلة: حيث يرى حجازي أن على كل مسلم أن يتحلى بالأخلاق الحسنة حتى يستطيع أن يدعو الناس للإسلام، وليدخل كثير منهم في الدين الإسلامي.

قال حجازي في روايته "محمد بن قاسم" عن حسن الخلق: "بعد انتهاء المعركة قام محمد بن قاسم بجولة حول مدينة "ديبل" وبدأ يدعو أهلها إلى الإسلام، وعاملهم معاملة حسنة، فبسبب أخلاقه الفاضلة اعتنق عدد كبير من أهل ديبل الإسلام، وانضم خمسة آلاف مواطن في جيش العرب أثناء الرحيل حتى يجاهدوا في سبيل الله وليدافعوا عن وطنهم" [37].

بيّن الكاتب في هذه الرواية عن دخول كثير من أهل السند إلى الإسلام بسبب الأخلاق

الكريمة لبطل الرواية "محمد بن قاسم" ومعاملته الحسنة لهم.

وكذلك في رواية "حكاية مجاهد" لما وصل نعيم إلى إحدى القرى مجروحًا فأخذته "نرجس" إلى بيتها واعتنت به إلى أن شفي، وعامل نعيم أهل القرية معاملة حسنة، وشكر أهل القرية على الضيافة ثم دعاهم إلى الإسلام، فبسبب أخلاقه الحسنة دخل أهل القرية في الدين الإسلامي، فتنورت القرية الصغيرة بنور الإسلام، ثم أخبرهم عن أهمية الجهاد وفضله، ويستأذن منهم ليسمحوا له بالالتحاق بجيش المسلمين حتى يستطيع إكمال مهمته (أي مهمة الجهاد)[38].

5- فكرة الدعوة إلى الإسلام: فالدعوة الإسلامية واجب على المسلمين إلى كل من هو غير مسلم، فالمسلمون مسؤولون عنها.

فاختار حجازي هذه الفكرة ليبين أهميتها، وذلك عن طريق عدة مواقف في رواياته فمثلاً في رواية "السد الأخير" نجد موقف طاهر أمام جنكيز خان بعدما يوصل إليه رسالة الخليفة، ثم قال له بأنه يريد أن يبلغ إليه الإسلام، فحاول طاهر أن يعلمه شيئاً عن الإسلام، ولكن المترجم المنافق لم يوصل كلام طاهر إلى جنكيز خان كما هي، بل غير من كلامه وحاول أن يصرف طاهر عن ذلك، ثم يأمره بأن جنكيزخان طلب منه بالانصراف الآن، وإنه لا يريد الاستماع إلى شيء آخر لأنه مشغول، فتعجب طاهر من ذلك وقال للمترجم إذا كان جنكيز خان مشغولا الآن فليسمح لي بتبليغ الإسلام في وقت آخر [39].

وكذلك في آخر الرواية "نجد أن طاهر يوقف بقية حياته في الدعوة الإسلامية، وكذلك عزم صديقه عبد الملك بمرافقة طاهر في كل الميادين، فكانا يجدان الراحة والطمأنينة بعد دعوة غير المسلمين إلى الإسلام" حيث أنه خدم الإسلام في الجيش لمدة خمسة عشر سنة ولكن بعد اختفاء جلال الدين رحل إلى السند ليعيش هناك ويدعو أهلها إلى الجهاد في سبيل الله، ويوجههم إلى التعليم والتربية لينشئوا جيلاً مسلماً جديداً وقوياً[40].

وأما في رواية "حكاية مجاهد" دعا نعيم "ذليخا" للدخول إلى الإسلام، قال الكاتب : "أراد نعيم أن يقطع المسافة بسرعة لينضم إلى رجال الجيش الذين كانوا مع ذليخا، ولكنه يفاجئ عندما يصل

إليهم ورأى أن جميعهم مجروحين لأن العدو هاجم عليهم، فسقى نعيم الماء لذليخا وحاول إخراج الخنجر من صدرها، ولكنها رفضت وطلبت منه بأن لا يفصلها من هذه العلامة (أي من الخنجر) ثم طلبت منه بأن يزورها يوم القيامة، فدعاها نعيم إلى الإسلام ولقنها الشهادتين ورددها ذليخا معه، وودعت ذليخا هذا العالم بعد أن أسلمت وبعد الابتلاء القليل مع الصراع بالموت "[41].

6- عدم الخيانة للدين والوطن: وذلك ما نراه في "حكاية مجاهد" عن ابن الصادق الذي يحرض الناس على القعود عن الجهاد، قال حجازي: "أخبر صديق نعيم بأن الجيش سيرحل بقيادة محمد بن قاسم لمقاتلة حاكم السند، ولكن هناك رجل في البصرة اسمه "ابن الصادق" الذي يحاول أن ينفر الناس عن الجهاد، ويحاول نشر الفتن بينهم ليبعدهم عن الدين، وكذلك يحرضهم بعدم المشاركة مع الجيش للجهاد" [42].

7- اللجوء إلى الله: تناول حجازي هذه الفكرة في رواياته، فالكاتب يحاول بث هذه الفكرة حتى يلتجئ كل قارئ إلى الله في كل الأحوال فمثلاً في رواية "محمد بن قاسم" نجد بطل الرواية محمد بن قاسم يلجأ إلى الله قبل خروجه للجهاد إلى بلاد السند حيث دعا ربه بصوت عالٍ "يا رب العالمين إن في كتفيّ الضعيفتين مهمة عظيمة فألهمني القوة الكافية حتى أستطيع إنهاء مهمتي، وأهدي الذين مثلي ليجاهدوا في سبيلك من أجل الدين الإسلامي، وأجعل كل حياتي في خدمة دينك الحنيف " [43].

8- تربية اليتيم: تناول الكاتب هذه الفكرة في روايته "السد الأخير" لأنه أراد أن يوضح للناس بأن يحسنوا تربية اليتيم ويحسنوا المعاملة معه، بحيث يختار شخصية "طاهر" بطل الرواية كيتيم ثم بيّن حسن تربيته (التربية الإسلامية).

قال الكاتب: "يرحل أحمد بن حسن إلى بغداد، وعندما يصل هنا يعلم أن زوجة صديقه (يوسف) قد توفيت، فيصطحب أحمد ابن صديقه طاهر معه ويربيه تربية صالحة كابنه، ويعلمه الفروسية والعلوم الكثيرة" [44].

9- فكرة التضحية والشجاعة: كما في روايته "السد الأخير"عندما تضحي صفية بنفسها لتخبر طاهر عن مؤامرة رئيس الوزراء ومهلب بن داود بتسليم جلال الدين إلى التتار، قال المؤلف:

"بعد إصرار رئيس الوزراء يكتب الخليفة رسالة إلى بغداد ليدعوه إلى بغداد، وكان رئيس الوزراء قد تآمر مع مهلب بن داود بتسليم جلال الدين للتتار، فأثناء ذلك دعا رئيس الوزراء ابنة أخيه "صفية" ليخبرها عن المؤامرة ضد جلال الدين ومن معه قبل قتلهم، فأرادت صفية أن تبلغ عن المؤامرة لطاهر وعبد الملك لينجوا بأنفسهم وعندما خرجت صفية لتخبر طاهرعن المؤامرة يلتحق بها الأعداء ويقبضوا عليها فتنجح صفية بتبليغ الخبر لطاهر وصديقه ولكنها تخسر حياتها في ذلك"(45).

10- فكرة الحب لله والبغض لله: فأراد نسيم حجازي توضيح هذه الفكرة في رواياته لأنه أراد أن يوضح للناس أن عليهم أن لا يحبوا إلا لله، وأن لا يبغضوا إلا لله، مثلاً في رواية "السد الأخير" يبين عن صداقة يوسف بن ظهير وأحمد بن الحسن فكانت صداقتهما صداقة مودة وحب، فقد جاهدا معاً مع صلاح الدين الأيوبي بكل شجاعة وقوة، وكذلك شاركا معاً في فتح يروشلم، حيث يستشهد يوسف بن ظهير، ويرجع أحمد بن حسن غازياً ويربي "طاهر" ابن صديقه وفاءً به، فبيّن حجازي أن هذه الصداقة تدل على أنهما لم يصادقا إلا لله.

11- الدور الإيجابي للمرأة في الإسلام: يرى نسيم حجازي أن المرأة المسلمة تلعب دوراً في الدفاع عن المسلمين والإسلام كما في روايته "السد الأخير" يوضح عن دور صفية في الدفاع عن بطل الرواية طاهر، حيث كان دورها إبلاغ طاهر عن كل المؤامرات التي كانت ضده، فقد كانت تسمع كلام قاسم ابن عمها وعن مؤامراته ضد طاهر فتذهب إلى طاهر لتخبره عن المؤامرات ليدافع ويحمي نفسه من الأعداء ولكنها في النهاية تخسر حياتها حيث تقتل على يد الأعداء.

12- عدم الإنصات للمنافقين: بيّن نسيم حجازي ذلك في روايته "حكاية مجاهد" عندما يختطف ابن الصادق المنافق نعيم، والذي كان يحاول إبعاد الناس عن الدين الإسلامي خاصة عن الجهاد، حيث حرض نعيم بترك الدين والجهاد والتلذذ بالدنيا وما فيها ولكن نعيم يرفض ذلك، فيجلده ابن الصادق بالسوط ثم يسجنه.

فحاول كلا الأديبين برواياتهما الإسهام في إنقاذ الأمة الإسلامية من محنتها المعاصرة، ومحاربة أعداء الإسلام ببناء الشخصية الإسلامية على المبادئ والأفكار الإسلامية، حيث دعوا إلى الجهاد

والدفاع عن الوطن وفقاً للتصور الإسلامي، فصورا المحافظة على الوطن بالمحافظة على الدين والمجتمع.

فهرس المصادر والمراجع

(1) – سورة التوبة، آية (24)

(2) – وا إسلاماه، لباكثير، ط/3 عام 1956م، مكتبة مصر، القاهرة، ص (19).

(3) – سيرة شجاع، لباكثير، ط/2 عام 1945م مكتبة مصر، القاهرة، ص (24).

(4) – سيرة شجاع، لباكثير، ص (78 – 81).

(5) – المرجع نفسه، ص (258).

(6) – سلامة القس، لباكثير، ط/2 عام 1944م، مكتبة مصر، القاهرة، ص (4 – 5).

(7) – وا إسلاماه، لباكثير، ص (12).

(8) – المرجع نفسه، ص (13).

(9) – المرجع نفسه، ص (134).

(10) – المرجع نفسه، ص (136).

(11) – المرجع نفسه، ص (251).

(12) – سيرة شجاع، لباكثير، ص (207 – 211).

(13) -آل عمران، الآية (159).

(14) – وا إسلاماه، لباكثير، ص (242).

(15) – سلامة القس، لباكثير، ص (135 – 136).

(16) – سورة الزخرف، الآية (67).

(17) – سلامة القس، لباكثير، ص (75–76).

(18) – وا إسلاماه، لباكثير، ص (238).

(19) – المرجع نفسه، ص (251).

(20) – سيرة شجاع، لباكثير، ص (268).

(21) – المرجع نفسه، ص (175 – 176).

(22) – المرجع نفسه، ص (268).

(23) – سورة البقرة، الآية (120).

(24) – سيرة شجاع، لباكثير، ص (153).

(25) – وا إسلاماه، لباكثير، ص (141).

(26) – سلامة القس، لباكثير، ص (89 –91).

(27) – نسيم حجازي ايك مطالعة (نسيم حجازي دراسة وتحليل)، د. تصدق حسين راجا، قومي كتب خانه، لاهور، ص (62).

(28) – المرجع نفسه، ص (143).

(29) – المرجع السابق.

(30) – المرجع السابق.

(31) – السدّ الأخير، لنسيم حجازي، ص (10).

(32) – حكاية مجاهد، لنسيم حجازي، ص (70).

(33) – محمد بن قاسم، لنسيم حجازي، ص (226).

(34) – السدّ الأخير، لنسيم حجازي، ص (14 – 15).

(35) – المرجع نفسه، ص (232 –234).

(36) – محمد بن قاسم، لنسيم حجازي، ص (224 – 226).

(37) – المرجع نفسه، ص (312).

(38) – حكاية مجاهد، لنسيم حجازي، ص (153).

(39) – السد الأخير، لنسيم حجازي ص (161).

(40) – المرجع نفسه، ص (510).

(41) – حكاية مجاهد، لنسيم حجازي، ص (112 – 114).

(42) – المرجع نفسه، ص (69).

(43) – محمد بن قاسم، لنسيم حجازي، ص (256).

(44) – السد الأخير، لنسيم حجازي، ص (33).

(45) – المرجع نفسه، ص (438 – 440).

Refrences:

1- Al Quran ul Karim

2- Bakathir, Ali Ahmed, Wa Islamah: Maktabt u Misr, Cairo, 3, 1956.

3- Bakathir, Ali Ahmed, Seeratu Shuja'a: Maktabt u Misr, Cairo, 2, 1945.

4- Bakathir, Ali Ahmed, Slamatul Qass: Maktabt u Misr, Cairo, 2, 1944.

5- Raja, Tasaduq Husain, Nasim Hijazi aik Mutala'a: Qumi Kutab Khana, Urdu Bazar, Lahore .

6- Hijazi, Nasim, Akhri Chatan: Qumi Kutab Khana, Urdu Bazar, Lahore .

7- Hijazi, Nasim, Dastan e Mujahid: Qumi Kutab Khana, Urdu Bazar, Lahore.

8- Hijazi, Nasim, Muhammad Bin Qasim: Qumi Kutab Khana, Urdu Bazar, Lahore.